الأموال والأنفس في القرآن الكريم

إفراداً وجمعاً، وتقديماً وتأخيراً، وعلاقة ذلك بالمعنى

أ. محمد سعيد الذيب

كلية التربية – أبوعيسى

جامعة الزاوية

مقدِّمة:

يتناول هذا البحث الأموال والأنفس في القرآن الكريم، إفراداً وجمعاً، تقديماً وتأخيراً، وعلاقة ذلك بالمعنى، لعل هذا البحث يقدم شيئًا ذَا بالٍ ومفيدٍ لموضوع أظنُّه غَيرَ مسبوقٍ، وفِق مقدِّمةٍ، وخاتمة، وأربعة مطالب: يتناول المطلب الأوَّل– دلالة الأموال والأنفس عند اللغويين. ويتضمَّن المطلب الثاني – دراسة إحصائية لورود ألفاظ الأموال والأنفس في القرآن الكريم.

ويتناول المطلب الثالث– الأموال والأنفس في القرآن الكريم، إفراداً وجمعًا عند المفسرين والنحويين.

أمَّا المطلب الرابع– فيتضمن الأموال والأنفس في القرآن الكريم، تقديمًا وتأخيراً، عند المفسرين والنحويين، وعلاقة ذلك بالمعنى.

المطلب الأوَّل – دَلالَةُ الأَموَالِ وَالأَنفُسِ عِند اللغويين :

الأموالُ والأنفس دعائم تُتَمِّمُ بعضُها بعضاً وتشارك جميعها في استمرار الحياة البشرية التي مِن دونها لا حياة لمجتمع يكون به هذا الوجود.

تناول العلماءُ هاتين الدعامتين بمختلف تخصُّصَاتِهم بالدراسة والتحليل، فكانوا بين مُحلِّلٍ ومفسِّرٍ ومُعرِبٍ ؛ بُغيةَ الوصول إلى كُنْهِهَا مِن خلال مواضعها في التنزيل، و يبقى ذلك متوقفاً على معرفة دلالاتها اللغوية عند أصحاب المعاجم الذين لم يألوا جهداً في خدمة اللغة ومفرداتها، وهذا ينعكس على كتاب الله من جميع جوانبه.

أوَّلاً– دَلالَةُ المال:

يقول الجوهريُّ في الصِّحاح:" المال معروف، وتصغيره مُوَيْل، والعامة تقول : مُوَيِّل بتشديد الياء، ورجلُ مالُ أي : كثير المال. ومالَ الرجلُ يَمُولُ مَوْلاً ومُؤولا إذا صار ذا مال. وتَموَّل مِثلُه، ومَوّله غيُره"[1]. وفي لسان العرب يقول ابن منظور:" المال معروف، ما مَلَكْتَهُ من جميع الأشياء. وقال: قال ابنُ الأثير: في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثُم أُطلِق على كلِّ ما يُقتنَى ويُملَك من الأعيان، وأكثر ما يُطلق المالُ عند العرب على الإبل ؛ لإنَّها كانت أكثرَ أموالهم"[2]. وقال صاحب عُمدة الحُفَّاظ :"المال ما مُلِك من متاع الدنيا وصَحَّ الانتفاعُ به وغَلَب في النقود والعُروض المُعَدَّة للتجارة' وجاء عن الأصمعي قوله:" وَسُمِّي المالُ مالاً ؛ لأنَّه يَميل مِن هذا إلى ذاك"[3].

ثانياً- دَلاَلَةُ النفس:

اهتم اللغويون بالنفس اهتماماً كبيراً، وأفردوا لها مساحاتٍ كبيرةً في معاجمهم باعتبار أنَّ النفس هي الإنسان، ويرتبط بها المال ارتباطاً وثيقاً؛ لأنَّ إنفاق المال متوقف على النفس، وهو أغلى شيءٍ بعد الروح، وقد أَوْلَى الله سبحانه وتعالى النفس كبيرَ الاهتمام؛ لأنَّها أساسُ الحساب ومناطُ الجزاءِ والبناء والعَمَار، ومِن ثمَّ خصَّها اللغويون والمفسرون والنحويون باهتماماتهم وتحليلاتهم، وسنتحدث عن الجانب اللغوي، ونُرجيء بقيةَ الجوانب فيما بعد، إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

قال الجوهري :" النفس الروح، يُقال: خرجت نفسه، والنفس الدم، يُقال : سالت نفسُه، وفي الحديث : (ما ليس له نَفَس بسائلة، فإنَّه لا يُنَجَّسُ الماءُ إذا مات فيه)، وأمَّا قولهم : ثلاثة أنفس، فيذكّرونه؛ لإنَّهم يريدون الإنسانَ"[4].قال ابن منظور:" قال أبوبكر بن الأنباري : من اللغويين مَنْ سَوَّى النفس والروح وقال: هما شيءٌ واحد إلّا أنَّ النفس مؤنث والروح مُذكَّر، وقال غيرُه: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلَّاعند الموت قال : وسُمِّيت النفس نفساً لتولد النَفَس منها، واتصاله بهما، كما سَمَّوا الروح روحاً ؛لأنَّ الروح موجود به"[5].وجاء في القاموس المحيط ما يوافق الجوهري، في تعريفه دلالة النفس مِن غير تباين[6].

وقد اهتم القرآن الكريم بالنفس الإنسانية اهتماماً متزايداً؛ لأنَّها مَعقِدُ صلاحه، وسَبَبُ حياته، وبعثه مِن جديد، قال تعالى:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[7]. وقد ورد لفظ النفس ومشتقاتِها في القرآن الكريم في282موضعاً [8].

المطلب الثاني: دراسة إحصائية لألفاظ الأموال والأنفس، ومَواضعِ ورودِها في القرآن الكريم :

جاءت هذه الدلالات في كتاب الله العزيز بلغة الحصر في ثلاثمئة وثلاثة وستين موضعاً، في ثماني وثلاثين سورة، سأقتصر الحديث في هذا البحث على ستين آية، في سبع وعشرين سورة؛ مراعاة لعدم الإطالة.

وفيما يلي : بيانُ عدد الآيات الكريمة في الجدول التالي :

الأموال	مفرد(25) آية	جمع (56) آية	المجموع (81) آية)
الأنفس	(136) آية	(146) آية	(282) آية

وهذه بعض المواضع مرتبة، بحسب ورودها في المصحف الشريف، مع عَوْدٍ إلى الحديث عنها فيما بعد.

أَوَّلاً_ عدد ألفاظ الأموال في بعض سور القرآن الكريم:

سورة البقرة :

ورد لفظ الأموال بها تسع مرات، منها :قوله تعالى:﴿ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾[9].

وقال تعالى:﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[10]. وقال جَلَّ ثناؤُه:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾[11].

سورة آل عمران:

ورد لفظ الأَموال بها في موضعين: أحدهما: قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُم وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾[12].

والآخر: قوله عزَّ وجلَّ :﴿لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ﴾[13].

في سورة النساء:

ورد لفظ الأموال في عشرة مواضع: منها، قوله تعالى: ﴿وَآتُوا اليَتَـامَى أَمْـوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[14].

وفي سورة التوبة:

ورد لفظ المال والأموال في اثني عشر موضعاً، منها:

قوله تعالى:﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[15].

وقال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[16].

وفي سورة الهمزة:

ذُكِر لفظ المال في موضعين، أحدهما :

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[17]

والآخر قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾[18] .

ثانياً- عدد ألفاظ النفس، في بعض سور القرآن الكريم

في سورة البقـرة: وردت لفظة النفس منفردة، ومتصلة مع غيرها في عدَّة مواضع، أذكر منهـا موضعين:

أحدهما: قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[19].

والآخر: قال جلّ ثناؤه: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[20].

وجاءت الأنفس في سورة آل عمران: في آيتين، هما: قوله تعالى :﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَـا وَأَبْنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[21] .

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[22].

وفي سورة النساء : جاءت لفظة النفس في آيتين، والأنفس في آية واحدة :

قال الله تعالى:﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾[23].

وقال الله تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[24].

وقال تعالى﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾[25].

وفي سورة المائدة: وردت لفظة النفس مرة واحدة فقط :

قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾[26] .

وفي سورة الأنعام: جاءت لفظة النفس في موضعين:

الموضع الأوّل- قال تعالى ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[27] .الموضع الآخر- قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[28] .

وفي سورة الأعراف: جاءت لفظة الأنفس في آية واحدة : قال تعالى : ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[29]

وفي سورة التوبة : وردت لفظة الأنفس مرتبطة بالأموال في ثلاثة مواضع منها:

قوله تعالى :﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾[30] .

ومنفصلة في قوله تعالى:﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[31] .

وفي سورة التكوير: جاء لفظ النفوس في موضع واحد، وهو قوله تعالى:"﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾"[32] .

المطلب الثالث: الأموال والأنفس، في القرآن الكريم، إفراداً وجمعاً، عند المفسرين والنحويين، وعلاقة ذلك بالمعنى.

ورد ذكر هذه الدلالات، في كتاب الله العزيز، في مواضع كثيرة ومتعدِّدة، منها ما جاء مفـرداً، ومنها ما جاء جمعاً في ذاته، أو متصلاً بغيره، ولكلٍّ موضع من هذه: دلالته ومعناه، في القـرآن العظيم.

وقد تناول هذه المواضع المفسرون والنحويون بالإعراب، والشرح والتحليل، فمنها مـا كان متبايناً، ومنها ما جاء مُصاقباً لغيره.

وفيما يلي بيانُ آرائهم في بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تحمل في ثناياها الأموال والأنفـس مع مراعاة مَا يستوجبه المقام مِن عدم الإطالة، بدءاً بالمال إفراداً وجمعاً.

أَوَّلاً ـ المال: إفراداً وجمعاً .

كان أكلُ المال شِنْشِنَةً[33] معروفة لأهل الجاهلية، بل كان أكثر أحـوالهم الماليـة، فـإنَّ اكتسابهم كان من الإغارة، ومِن المَيْسرِ، ومِن غصب القوي للضعيف، ومِـن المقـامرة، ومِـن المراباة، ومِن أكْل الأولياء لأموال الأيتام واليتامى، ومِن الناس مَنْ يَظُن أنَّ المال طـوَّل أملـه ومُنَاه، حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله، يحسب أنَّ المال تركه خالداً فـي الـدنيا، لا يمـوت فشيَّد المباني الموثَّقَة بالأحجار الكريمة، وتطاول على مَنْ هم دونه مِنَ النـاس وبَطَـر وتكبّـر، وبَخِل بماله. فلم يُنفِق منه في وجوه البرِّ والخير، وكان عليه حارساً أكثر منه مالكاً، ولمَّـا كـان هذا دَيدَن بعضِ هؤلاء، جاءت الآيات القرآنية التالية موضحةً طُرقَ إنفاق المال وكيفيةَ إنفاقه في الوجوه الصحيحة.

قال الله تعالى **في سورة الأنعام:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّـى يَبْلُـغَ أَشُدَّهُ﴾[34] .

قال أبو الحسن عليّ الماوردي في النكت والعيون : قوله عز وجل : {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } إنَّما خصَّ مال اليتيم بالذكر وإنْ كان مالُ غيره في التحريم بمثابته؛ لأنَّ الطمع فيه لقلة مراعيه أقوى، فكان بالذكر أولى"[35].جاء عن الفخر الرازي في التفسير الكبير ومفاتح الغيب" والمعنى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بأنْ يسعى في تنميته وتحصيل الربح به ورعاية وجوه الغبطة له، ثم إنْ كان القيِّم فقيراً محتاجاً أخذ بالمعروف، وإن كان غنياً فاحترز عنه كان أولى[36] . وقال إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، في تفسيره نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور : بعد أنْ أورد جملة من الوصايا من آيات الذكر الحكيم قبل وصية مال اليتيم، منها قوله تعالى :"ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق "قال: "ولمَّا كان المالُ عديلَ الروح من حيث إنَّه لا قِوام لها إلَّا به، ابتدأ الآية التي تليها بالأموال، ولمَّا كان أعظمها خطراً وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره، ابتدأ به فنهي عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه فقال: { ولا تقربوا مال اليتيم} أي: بنوع من أنواع القربان عمل فيه أو غيَّره"[37]. وجاء عن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، قوله: وَابْتَدَأَهَا بِحِفْظِ حَقِّ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الدَّفْعَ عَنْ حَقِّهِ فِي مَالِهِ، وَهُوَ الْيَتِيمُ، فَقَالَ: "وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، وَالْقُرْبَانُ كِنَايَةٌ عَنْ مُلَابَسَةِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّصَرُّفُ فِيهِ كَمَا تَقَدَّمَ آنِفًا فِي قَوْلِهِ: "وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ"، وَلَمَّا اقْتَضَى هَذَا تَحْرِيمَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ، وَلَوْ بِالْخَزْنِ وَالْحِفْظِ، وَذَلِكَ يُعَرِّضُ مَالَهُ لِلتَّلَفِ، اسْتُثْنِي مِنْهُ قَوْلُهُ: إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أَيْ إِلَّا بِالْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَاسْمُ الْمَوْصُولِ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ يُقَدَّرُ مُنَاسِبًا لِلْمَوْصُولِ الَّذِي هُوَ اسْم للمؤنّث، فَيُقَدَّرُ بِالْحَالَةِ أَوِ الْخَصْلَةِ. وَالْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ، أَيْ إِلَّا مُلَابِسِينَ لِلْخَصْلَةِ أَوِ الْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَالَاتِ الْقُرْبِ[38]

قال الشعراوي وقوله الحق :" وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ.." هنا يفرض سبحانه أنَّ اليتيم له مال، فلم يقل: ق ربرلبلا تأكل مال اليتيم، بل أمرك ألَّا

تقترب منه ولو بالخاطر، ولو بالتفكير، وعليك أنْ تبتعد عن هذه المسألة. وإذا كان قد قال : { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم} فهل هذا الأمر على إطلاقه؟ لا؛ لأنَّه أضاف وقال بعد ذلك : " إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ } أي: بأنْ نُثَمِّرَ له ماله تَثمُّراً يسع عيشه، ويُبقى له الأصل وزيادة؛ ولذلك قال في موضع آخر: {وارزقوهم فيهَا.. }[39].

هكذا عبَّر القرآن الكريم بصيغة الإفراد في لفظ المال في الآية الكريمة السابقة لدلالته على الخصوص، حيث جاء لفظ المال مفرداً وهو مضاف ليناسب المفرد المضاف إليه وهو اليتيم، فلو جاء لفظ اليتامى جمعاً لناسب أنْ يكون لفظ الأموال بصيغة الجمع أيضاً لدلالته على الشمول عندئذٍ كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ [40] .

وفي **سورة الكهف:** قال تعالى ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[41]، قال وهبة الزحيلي في التفسير الوسيط :" لمَّا بيّن تعالى أنَّ الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء مشرفة على الزَّوال والبوار والفناء، بيَّن تعالى أنَّ المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وأخبر سبحانه عن حقيقة المال والأولاد، فذكر أنَّ الأموال والبنين والبنات هي من زينة الحياة الدنيا .

وليست من زينة الآخرة الدائمة، فهي سريعة الفناء والانقراض، فلا ينبغي لعاقل أو متأمل الاغترار بها والتفاخر بمظاهرها، ولا يصح للناس أن يتبعوا أنفسهم زينة الدنيا وجمالها، وعليهم أنْ ينتفعوا بها مجرد انتفاع، دون تعلق نفس وإيثار، أو تعظيم وتفضيل؛ لأنَّ كلَّ ذلك إلى فناء"[42].

وجاء عن القرطبي، قوله:" وإنَّما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا ؛لأنَّ في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة الدنيا ؛لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين؛

لأنَّ المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم وهو ردٌّ على عيينة بن حصن، وأمثاله لمَّا افتخروا بالغنى والشرف فأخبر تعالى أنَّ ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولايبقى كالهشيم حين ذرته الريح، إنَّما يبقى ما كان من زاد القبر وعُدَد الآخرة[43].

وجاء في تفسير أبي السعود محمد العماد في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في شرح هذه الآية: ﴿ المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قوله:" هو بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما افتخر الأخ الكافر بما افتخر به، على أخيه بما أجراه الله على لسانه بقوله تعالى: "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً "وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه عند أكثر الناس لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك. وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنَّه زينة ومُمِدٌّ لكلِّ أحد من الآباء والبنين في كلِّ وقت وحين؛ ولأنَّ المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع؛ ولأنَّ الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم؛ ولأنَّه أقدم منهم في الوجود"[44] .

وقال الشعراوي – رحمه الله :" تلك هي العناصر الأساسية في فتنة الناس في الدنيا: المال والبنون، لكن لماذا قدَّم المال؟ أهو أغلى عند الناس من البنين؟ نقول: قدَّم الحق سبحانه المال على البنين، ليس لأنه أعزُّ أو أغلى؛ إنَّما لأنَّ المال عام في المخاطب على خلاف البنين، فكلُّ إنسان لديه المال وإنْ قلَّ، أما البنون فهذه خصوصية، ومن الناس مَنْ حُرِم منها.

كما أنَّ البنين لا تأتي إلا بالمال ؛ لأنَّه يحتاج إلى الزواج والنفقة لكي يتناسل ويُنجب، إذن: كلُّ واحد له مال، وليس لكل واحد بنون، والحكم هنا قضية عامة، وهي: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾[45]. في هذه الآية الكريمة جاء لفظ المال مفرداً لدلالته على معنى الخصوص؛ لأنَّ المال لا يكون زينة إلاَّ عند الخاصة من الناس ممَّن يزيد على حاجتهم الأساسية، أمَّا غالبيتهم فهم إمَّا فقراء معدمون وإمَّا متوسطو الدخل، فلا يصل المال عندهم إلى درجة الزينة، فهو بالنسبة لهم كالماء القليل في الصحراء عند السَّفْرِ.

وفي **سورة الهمزة**، قال تعالى : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[46] . قال الفرَّاء يريد : يخلده وأنت قائل للرجل : أتحسب أنْ أنجاك مِن عذاب الله ؟ ما أنجاك مِن عذابه إلَّا الطاعة، وأنت تعني. ما ينجيك. ومِن ذلك قولك : للرجل يعمل الذنب المُوبِقَ : دخل واللهِ النارَ والمعنى : وجَبَت له النار[47] . وقال الزمخشري : أخلد هو خلَّده بمعنى، أي: طوَّل المالُ أمله ومنَّاه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أنَّ المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت[48] . وقال أبوحيَّان : أخلده أبقاه حيًا، إذ به قوام حياته وحفظ مدة عمره[49] . وقال الألوسي، في روح المعاني:" الذى جَمَعَ مَالاً } بدل من { كل } بدل كل وقيل: بدل بعض من كل وقال الجاربردي: يجوز أنْ يكون صفة له؛ لأنَّه معرفة على ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" جعل جملة معها سائق حالا من كلِّ نفس لذلك ولا يخفى ما فيه ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً على الذم وتنكير مالًا للتفخيم والتكثير"[50] . وورد عن القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ما ذكره صاحب البحر المحيط، وكأنَّه نقل عنه[51] .

وقال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير:" وجملة " يحسب أنَّ ماله أخلده" يجوز أنْ تكون حالاً مِن هُمَزَة، فيكون مستعملاً في التهكم عليه، في حرصه على جمع المال وتقديره؛ لأنَّه لا يوجد مَنْ يحسب أنَّ ماله يُخلدُه، فيكون الكلام مِن قبيل التمثيل، وتكون الحال مُرادًا بها التشبيه، وهو تشبيه بليغ، ومعنى الآية : إنَّ الذين جمعوا المال يشبه حالهم حال مَنْ يحسب أنَّ المال يَقِيهم الموت ويجعلهم خالدين ؛ لأنَّ الخلود في الدنيا أقصى متمناهم، إذ لا يؤمنون بحياة أخرى خالدة[52]. جاء التعبير بلفظ المال مفرداً مضافاً في قوله تعالى: "يحسب أنَّ ماله" ليناسب الضمير المفرد المضاف إليه العائد على صاحب المال. وقد خرج لفظ المال من دلالته المركزية إلى دلالته الهامشية وذلك لإفادة معنى الخصوص، فالذي يهمز ويلمز الناس، ليس غريباً عنه أن تكون له خصوصية في جمع ماله من هنا وهناك، من طرق مشروعة وغير مشروعة، كالسرقة، والغصب، والغش وما إلى ذلك.

في سورة البقرة، قال الله تعالى:﴿وَلاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[53]. قال الزمخشري:" ولا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالوجه الذي لم يُبِحْه اللهُ، ولم يَشرَعْه"[54]. وقال الزجَّاج في إعراب القرآن :" أي: مع أموالكم "[55]وجاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: "والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق فيدخل في هذا : القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس مالكه أو حرَّمته الشريعة وإنْ طابت به نفس مالكه كمهر البغيِّ وحُلْوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك، وأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لمَّا كان كلٌّ واحد منهما منهيا ومنهيا عنه كما قال : تقتلون أنفسكم"، وأُضيفَت الأموال إلى ضمير المنهيِّ لمَّا كان كلٌّ واحدٍ منهما منهّياً ومنهّياً عنه[56] . وورد في البرهان للزركشي، أي: لا تأكلوها بالسبب الباطل الذي هو القمار[57] .

وقال عبدالرحمن بن ناصر السعدي : أي: ولا تأخذوا أموالكم، أي: أموال غيركم، أضافها إليهم ؛ لأنَّه ينبغي للمسلم أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأنَّ أكله مال غيره يجريء غيره على أكل ماله عند القدرة. ولمَّا كان أكلها نوعين : نوعاً بحق، ونوعاً بباطل، وكان المحرم إنَّما هو أكلها بالباطل، قيَّده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في وديعة أو عارية، أو نحو ذلك[58] . وجاء عن أبي حيَّان الأندلسي، قوله :"وإضافة الأموال إلى المخاطبين والمعنى: ولا يأكل بعضكم مال بعض كقوله تعالى: " ولا تقتلوا أنفسكم " أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، وقوله تعالى: "مِن أموال الناس" في موضع الصفة، أي: فريقاً كائناً[59] . ورد في الآية الكريمة السابقة ذكر لفظ الأموال بصيغة الجمع؛ لدلالته على معنى العموم وأُريد به الخصوص، إذ وجِّه أسلوب النهي لطبقة خاصة، تملك أموالاً سواءً كانت بطرق مشروعة أو غير مشروع كالغصب، والسرقة، والقمار، وقيَّد هذه

الطبقة المالكة للمال بقوله تعالى:" وتدلوا بها إلى الحكام"، أي: رشوة لهم، لِيَخرُجَ من هذا القيد طبقة الفقراء الذين لا يملكون من المال ما يدلون به إلى الحكام، فإنِ امتلكوا شيئاً من المال فحسبهم أنْ يَسُدَّوا به عَوَزَهُم .

وفي سورة النساء قال الله تعالى:﴿وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾[60] .

قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: "أي: مع أموالكم "[61]. وعن الزجَّاج: " أي: مضمومة إلى أموالكم"[62] . وورد عن ابن فارس في الصاحبي: مثلُ قول ابن قتيبة في دَلالةِ "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" [63] .

وجاء في شرح التسهيل لابن مالك ما وافق رأي ابن قتيبة أيضاً[64]

ويوافق إبراهيم الصفاقسي فيما ذهب إليه ابن قتيبة. وزاد على ذلك بقوله:" فحرف الجر جاء هنا بمعنى المصاحبة، وهو ما يدل على شدَّة اختلاط المال بعضه ببعض الأمر الذي يوحي بعدم القدرة على فصله، ومعرفة مقدار كلِّ مال بعد اختلاطه مع مرور الزمن"[65]. ولم يختلف الشعراوي، مع مَنْ سبقه مِن المفسرين في كون أنَّ (إلى) في الآية تعني مع، في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾[66]. جاء التعبير القرآني بلفظ الأموال بصيغة الجمع في الآية؛ للتناسب بين المتضايفين، وللدلالة على العموم ليشمل تسليم كلّ أموال اليتامى إليهم عند بلوغهم سنَّ الرشد من أَوليائهم وأَوصيائهم من دون تحايل، أو طمع في أكلها بالباطل. وتأتي لفظة الأموال بصيغة الجمع أيضاً في أسلوب النهي في قوله تعالى:"وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ" وفي ذلك تتجلَّى دلالة الشعور النفسي تجاه اليتامى بأنَّ هذه الأموال هي أموالهم ومن حقِّهم، فهم ضعفاء، محتاجون إليها، وبذلك وجَّه ربُّ العزَّة، أسلوب النهي إلى أوليائهم و أوصيائهم بألَّا تتصرَّفوا في أموال اليتامى بالإنفاق إنْ أُونِس منهم الرشدُ، وآتوهم أموالهم كاملةً، مع عدم خلطها مع أموالكم حتى لا يتعذر الفصلُ بينهما عند استحقاقهم إيَّاها.

وفي سورة الأنفال، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[67]. قال صاحب الكشاف :" المعنى أعينوا بهذا المال على حرب محمد، لَعلَّنا ندرك منه ثأرنا بما أُصيب منَّا ببدر"[68]. قال محمد الطاهر بن عاشور: "أي: إنهم ينفقون أموالهم وهي أعزُّ الأشياء عليهم للصدِّ عن الإسلام، وأتى بصيغة المضارع في (ينفقون) للإشارة إلى أنَّ ذلك دأبهم وأنَّ الإنفاق مستمر لإعداد العُدَد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال"[69]. عبَّرت الآية الكريمة بلفظ الجمع في لفظ (أموالهم) للدلالة على كثرة إنفاقهم لمحاربة الإسلام، ومحاولة إطفاء نوره وذلك من المحال، **قال الله عز وجل:** ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[70] .

وفي سورة التوبة: قال تعالى:﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾[71] قال الزمخشري: " في الآية إيجاب للجهاد بهما إنْ أَمكنَ، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة[72] وقال أبو حيَّان: لمَّا تَوعَّد اللهُ مَنْ لا ينفر مع رسول الله _صلَّى الله عليه وسلم_ وضربَ له مِن المثل ما ضربَ، اتْبَعه بهذا الأمر. والمعنى في قوله:﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾، وذكر بأموالكم، وذلك وصفٌ لأَكْمَلِ ما يكون الجهاد وأنفعه، فحضَّ على كمال الأوصاف. وقُدِّمتِ الأموال إذْ هي أوَّل مصرف وقت التجهيز"[73] . ولمَّا كان الجود بالنفس أعلى مرتبة في الجهاد، وكان لا يجود بالنفس إلاَّ القليل من الناس، جاء أمر الجهاد بالمال قبل الجهاد بالنفس؛ للدلالة على أنَّه من السهل أنْ يجود المؤمن بالمال قبل النفس التي من طبيعتها تَهَيُّبُ الموتِ، وقد يجود بأحدهما أو بكليهما، وذلك يرجع إلى قدرة المؤمن على الجهاد ومدى استطاعته على ذلك، قال الله تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[74] .

ثانياً- الأنفـــس: إفراداً وجمعاً

لمَّا كان المالُ أساسَ حظوة الإنسان المؤمن عند بارئه وفوزه ونجاحه في الدنيا والآخرة، أو مناط خسارته في الدنيا والآخرة، وذلك إمَّا بإنفاقه في سبيل الله وفي سبيل البرِّ والخير، وإمَّـا بتضييعه في غير ما شرعه الله؛ لمَّا كان المال كذلك، وكانت النفس هي جوهرة الإنسان، ومنـاط جزائه وعقابه، وبناء هذا الكون وعَمَارِهِ ذكرها الله في كتابه العزيز أكثر مِـن غيرهـا إفـراداً وجمعاً، وقد تناولها العلماء من مفسرين ونحويين بالشرح والإعراب والتحليل.

وفيما يلي بعض آرائهم بشيء من الإيجاز مراعاة للمقام.

في **سورة البقرة** : قال الله تعالى:﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[75] وقوله تعالـى: ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ﴾. قال الزمخشري: " وهذه الجملة منصوبة المحـل صـفة (ليوماً) ومعنى التنكير إنَّ نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شـيئاً مـن الأشـياء. وهـو الإقناط الكلِّي"[76] . وعن صاحب البحر المحيط : في قوله تعالى:" نفس عن نفس " كلاهما نكرة في سياق النفي فتعم. ومعنى التنكير: إنَّ نفساً من الأنفس لا تجزي عـن نفـس مِـن الأنفـس شيئاً"[77] وهو بهذا يوافق رأي الزمخشرى .

وجاء عن الشعراوي: "نفس عن نفس" هناك نفس أولى، ونفس ثانية، النفس الأولى هـي الجازية، والنفس الثانية هي المَجزيٌّ عنها، النفس الأولى أي: النفس الجازية تحـاول أنْ تتحمَّـل على النفس المجزي عنها، يوم القيامة"[78]. عبَّر الأسلوب القرآني بالإفراد في لفظ (النفس) فـي الآية الكريمة؛ للدلالة على أنَّ كلَّ نفس مسؤولة عن ذاتها أي: لا تتحمَّل نفسٌ بريئةٌ حِملَ نفـسٍ أخرى مذنبة آثمة، وفي ذلك قال المولى عزَّ وجلّ:﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْـأَمْرُ يَوْمَئِـذٍ لِلَّهِ﴾[79]. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَـوْمَ ﴾[80]. وفـي سـورة آل عمران: قال تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّـنْ أَنفُسِـهِمْ﴾"[81] قـال

الزمخشري: " من أنفسهم، من جنسهم عربياً مثلهم، وقيل من ولد إسماعيل، كما أنَّهم مِن ولده. فإنْ قلت فما وجه المِنَّة عليهم في أنْ كان مِن أنفسهم. قلت إذا كان فيهم، كان اللسان واحداً، فسهل أخذُ ما يجب عليهم أَخذُهُ. وكونه مَن أنفسهم شَرفٌ لهم، كقوله :" وإنَّه لذكر لك ولقومك". وفي قراءة رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – وقراءة فاطمة رضي الله عنهما : (مِنْ أَنْفَسِهم) أي: مِن أشرفهم"[82] وقال القرطبي: "(من أَنْفُسِه)أي :بَشَرٌ مثلُهم ليعرفوا حاله ولا تخفي عليهم طريقته، وقِيلَ: "من أَنْفُسِهم "وقرئ في الشواذ "من أنفَسِهم" بفتح الفاء، يعني من أشرفهم[83] .

وجاء في التحرير والتنوير: (من أنفسهم):المماثلة لهم في الأشياء التي تكون المماثلة فيها سبباً لقوة التوصل، وهي هنا النسب واللغة والوطن[84]. والتعبير بصيغة الجمع في لفظ (أنفسهم) للدلالة على معنى العموم، أي: عموم معرفتهم به، بمعنى أنَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام هو واحد منهم ليس غريباً عنهم، بل هم يعرفونه جميعاً بأمانته وصدقه حق المعرفة، وذلك ما يجعلهم يصدِّقون رسالته السماوية، ويُعزِّرُونَه و يساندونه في نشر الإسلام .

المطلب الرابع: الأموال والأنفس في القرآن الكريم، تقديماً وتأخيراً، عند المفسرين والنحويين وعلاقة ذلك بالمعنى:

التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة عند العرب، فإنَّهم أتوا به دلالة على تَمَكُّنِهم في الفصاحة ومَلَكَتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسنُ موقع، وأعذبُ مذاق، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب الفصيح، ممَّا زاد لُغتَهم شَرفاً ومكانةً بين لغات الأمم كما عمل على حفظها على مرِّ الأزمنة والدهور، وهو في الوقت ذاته يشتمل على الأساليب البلاغية الراقية، مِن بينها أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، فتقديم جزءٍ من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرضٌ دلالي أو بلاغي، وقد تناوله العلماءُ بالتفسير والتحليل، والإعراب.

وقبل الشروع في عرض هذه الآراء وتفصيلها ينبغي التنبيهُ إلى أنَّ ما يدعو دلالياً، وبلاغياً، ونحوياً إلى تقديم جزءٍ من الكلام هو ذاته ما تدعو إليها لأغراض السالفة الذكر إلى تأخير الجزء الآخر، وإذا كان الأمر كذلك فإنه إذا تقدم جزءٌ من الكلام تأخر الآخر، فهما متلازمان.

والآن وعلى ضوء هذا التقديم أعرض فيما يلي: آراء وتحليلات بعض هؤلاء العلماء، لبعض آيات التنزيل الحكيم المشتملة على الأموال والأنفس، مِن حيث التقديم والتأخير، وعلاقة ذلك بالمعنى:

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[85]، قال أبوحيَّان في البحر المحيط : "وقدَّم الأموال على الأنفس على سبيل الترقي إلى الأشرف"[86]. وفي تقديم الأموال على الأنفس دلالة على كثرة تعرض المال للتلف والضياع بالسرقة والغصب

وفي سورة آل عمران: قال الله تعالى:﴿ لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[87] يبيِّن القرطبي حكم تقديم الأموال على الأنفس، فيقول: "لتُختبرُنّ ولتُمتحنُنَّ في أموالكم بالمصائب والأرزاء بالإنفاق في سبيل الله وسائر تكاليف الشرع. والابتلاء في الأنفس بالموت والأمراض، وفقد الأحباب؛ وبدأ بذكر الأموال لكثرة المصائب بها[88] وورد عن أبي حيَّان الأندلسي قوله: " وقدَّم الأموال على الأنفس على سبيل الترقِّي إلى الأشرف، أو على سبيل الكثرة؛ لأنَّ الرزايا في الأموال أكثر من الرزايا في الأنفس" [89]. وقال محمد رشيد رضا، في تفسير المنار:" وقدَّم ذكر المال؛ لأنّه هو الوسيلة التي يكون بها الاستعداد لبذل النفس، فَبَذْلُ المالِ يُحتَاجُ إليه قَبلَ بَذْلِ النفس؛ أو لأَنَّ الإنسان كثيراً ما يبذل نفسَه دفاعاً عن ماله[90].

وفي سورة الأنفال، قال الله تعالى:"﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾"[91] . يقول إسماعيل حقِّي أبو

الفداء، في روح البيان : "ولعلَّ تقديم الأموال على الأنفس؛ لأنَّ المجاهدة بالأموال أكثرُ وقوعاً وأتمُ دفعاً للحاجة حيث لا تتصور الإرشاد يقول الفقير أصلحه الله القدير : "وجه التقديم عندي أنَّ المال من توابع النفس والوجود وتوابعها أقدمُ منها في البذل، وفي الآية أسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى"[92] وجاء عن وهبة الزحيلي قوله :"وتقديم الجهاد بالأموال على النفس؛ لأنَّه أدفع للحاجة"[93] ممَّا سبق يتضح أنّ تقديم المال جاء للدلالة على إمكانية الجود بالمال قبل النفس؛ لسهولة الحصول عليه وتعويضه إذا تلف، أمَّا النفس فهي أغلى شيء عند الإنسان، لذلك تراه يحرص عليها ويتهيب الموت لأجلها، فالجهاد بالنفس نادر ولا يكون إلاَّ في أقصى الظروف عند كثير من الناس.

وفي قوله تعالى:﴿ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ﴾[94]. الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، وفي بيان حكم تقديم الأموال، وتأخير الأنفس، ورد عن القرطبي قوله:" بأموالكم وأنفسكم" . روى أبو داود عن أنس أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه و سلم قال: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى فحضَّ على كمال الأوصاف وقدَّم الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز، فرتَّب الأمر كما هو في نفسه "[95] . وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "وَتَقْدِيمُ الْأَمْوَالِ عَلَى الْأَنْفُسِ هُنَا؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ بِالْأَمْوَالِ أَقَلُّ حُضُورًا بِالذِّهْنِ عِنْدَ سَمَاعِ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ، فَكَانَ ذِكْرُهُ أَهَمَّ بَعْدَ ذِكْرِ الْجِهَادِ مُجْمَلًا[96] .

وقال أبوحيَّان الأندلسي: "وذكر بأموالكم وأنفسكم، إذ ذلك وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله، فحضَّ على كمال الأوصاف، وقُدِّمت الأموال إذ هي مَصرِف وقت التجهيز[97] .

وفي سورة التوبة أيضاً قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[98]. جاء عن الزمخشري قوله: " مثَّل اللهُ إثباتهم بالجنَّة على بذلهم أنفسهم

وأموالهم في سبيله بالشَّرْوَى[99].

وَرُوِي: تَاجَرَهُم فأَغْلَى لهم الثمن. وعن عمرَ رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعاً. ومرَّ بالرسول صلَّى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال: كلام مَنْ هذا ؟ قال: كلام الله، قال: بَيعٌ والله مربح، لا نقيله، ولا نستقيله، فخرج إلى الغزو فاستشهد "[100] .

أمَّا صاحب الجامع لأحكام القرآن، فقال :" أصْل الشراء مِن الخلق أنْ يُعوَّضوا عمَّا خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم، فاشترى الله سبحانه وتعالى مِن العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم، في طاعته وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنَّة عمَّا فقدوه في سبيل مرضاة الله[101] .

ووافق القرطبي ما ورد عن الزمخشري في الكشاف، في شأن دلالة هذه الآية الكريمة حيث قدَّم سبحانه وتعالى النفس؛ لأنّها أغلى شيءٍ عند الإنسان في الدنيا مقابل أغلى شيءٍ في الآخرة.

وفي البحر المحيط، قال أبو حيَّان الأندلسي : "والآية عامة في كلِّ مَنْ جاهد في سبيل الله مِن أُمَّة محمد صلَّي الله عليه وسلَّمَ، إلى يوم القيامة. وقرأ عمر بن الخطاب أموالهم بالجنَّة، وقال قدَّم الأنفس على الأموال ابتداءً بالأشرف، وبما لا عِوَض له إذا فُقِد، وفي لفظة اشترى لطيفةٌ: وهي رغبة المشتري فيما اشتراه، واغتباط به، ولم يأتِ التركيب أنّ المؤمنين باعوا، والظاهر أنَّ هذا الشراء هو مع المجاهدين"[102] .

وفي سورة الحجرات، قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[103]. يقول شمس الدين محمد الشربيني في السَّراج المنير:" قدَّم الأموال لقلتها عند العرب"[104].

و جاء عن شهاب الدين محمود الألوسي في تفسيره روح المعاني، قوله : "وتقديم الأموال على الأنفس من باب الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى، ويجوز بأنْ يُقال: قدَّم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يُهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظراً إلى التعريض بأولئك حيث إنهم لم يكفِهم أنهم لم يجاهدوا بأموالهم حتى جاؤوا أو أظهروا الإسلام حبا للمغانم وعرض

الدنيا، ومعنى جاهَدُوا بذلوا الجهد أو مفعوله مُقدَّر أي: العدو أو النفس والهوى أُولئِكَ الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة هُمُ الصَّادِقُونَ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا أولئك الأعراب"[105]. ويأتي تقديم الأموال على الأنفس لكثرة مَنْ يجود بها في سبيل الله مع القدرة على تعويض ما أنفق أمَّا الجهاد بالنفس فعند الناس قليل، وتعويضها مستحيل.

وفي **سورة الصف:** قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[106]. جاء عن محمد سيد طنطاوي، قوله: " وقدَّم- سبحانه- هنا الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس؛ لأنَّ المقام مقام تفسير وتوضيح لمعنى التجارة الرابحة عن طريق الجهاد في سبيل الله، ومن المعلوم أنَّ التجارة تقوم على تبادل الأموال، وهذه الأموال هي عصب الجهاد، فعن طريقها تُشتَرى الأسلحة والمعدات التي لا غنى للمجاهدين عنها، وفي الحديث الشريف «من جهز غازيا فقد غزا» .

وقدَّم- سبحانه-في قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ" قدَّم الأنفس على الأموال؛ لأنَّ الحديث هناك، كان في معرض الاستبدال والعرض والطلب، والأخذ والعطاء. فقدَّم- سبحانه-الأنفس؛ لأنَّها أعزّ ما يملكه الإنسان، وجعل في مقابلها الجنة؛ لأنَّها أعزُّ ما يُوهَبُ، وأسمَى ما تتطلع إلى نيله النفوسُ"[107] وقال إسماعيل حقي بن مصطفى:" قدَّم الأموال لتقدمها في الجهاد؛ أو لأنَّه إذا كان له مال فإنه يؤخذ به النفس لتغزو أو للنير في الأدنى إلى الأعلى. قال بعضهم : قدَّم ذكر المال لأنّ الإنسان ربما بضن بنفسه أولاً، وهذا خبر في معنى الأمر جيئ به للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنه وقع فأخبر بوقوعه، كما تقول غفر الله لهم ويغفر الله لهم"[108]. **يتضح ممَّا سبق** أنَّ تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالأنفس جاء كما قال الشيخ محمد طنطاوي؛ للدلالة على أنَّ المقام مقام تفسير وتوضيح لمعنى التجارة الرابحة عن طريق الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس بعد الإيمان بالله ورسوله.

الخاتمة:

ممَّا سبق عرضُه يمكن القولُ: إنَّ من أهم النتائج التي توصل إليها الباحثُ الآتي:

1- أنَّ لفظ (المال) باختلاف دلالاته اللفظية يمكن أن يكون كلَّ ما يستفيد منه الإنسان في حياته، خلافاً للهواء والماء والعلم والولد.

2- معاني (النفس) لا تخرج عن معاني الروح والدم والذات والشخص والإنسان والغيب والإخوان.

3- لفظ (النفس) كان الأكثر وروداً من لفظ (المال)، سواء كانت منفصلة، أو متصلة مع غيرها، بأنْ ورد لفظ (النفس)282 مرة، بينما ورد لفظ (المال)86 مرةً.

4- المال والنفس كما يمكن أنْ يكونا مصدرَ سعادة وهناءة، فقد يكونا مصدر عداءٍ وشقاءٍ، وذلك بحسب تَصرُّف الإنسان في ماله أو مع نفسه.

5- التَّقديم والتَّأخير بين الأنفس والأموال أسلوب قرآني يأخذ مكانه وَفْقَ مقتضيات السياق البلاغي، مِن تقديم للأهم والأقرب والألصق وغير ذلك. كما يوصي الباحث بدراسة القرآن الكريم من جميع الوجوه، فآياته الكريمة حقل خصب للكثير من الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية، والدلالية، وغيرها...

<u>هوامش البحث:</u>

- القرآن الكريم برواية قالون رحمه الله.

(1) الصِّحاح، تاج اللغة وتاج العربية، إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، ط4 القاهرة 1987م، مادة (م و ل)، 5 /1821، 1822.

(2) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، مراجعة وتدقيق يوسف البقاعي، وآخرَينِ، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2005م، مادة (مول)، 4/ 3804

(3) عُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد بن يوسف عبد الدائم الحلبي، تحقيق عبد السلام أحمد الحلبي، مادة (مول)2546/4.

(4) الصِّحاح، مادة (ن ف س).

(5) لسان العرب، مادة (ن ف س).

(6) القاموس المحيط، مادة (ن ف س).

(7) سورة الفجر، الآيات (30، 31، 32) .

(8) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحـــديث– القاهرة، المال: ص778، 779. النفس : من ص 803–807.

(9) سورة البقرة : من الآية 176 .

(10) سورة البقرة، من الآية 188 .

(11) سورة البقرة، من الآية 264 .

(12) سورة آل عمران، من الآية 10.

(13) سورة آل عمران، من الآية 186.

(14) سورة النساء، من الآية 2.

(15) سورة التوبة، من الآية41.

(16) سورة التوبة من الآية 112.

(17) سورة الهمزة، الآيتان 1، 2.

(18) سورة الهمزة، الآية3.

(19) سورة البقرة، من الآية 122

(20) سورة البقرة، من الآية 226

(21) سورة آل عمران، الآية 60.

(22) سورة آل عمران، من الآية 164.

(23) سورة النساء، من الآية83.

(24) سورة النساء، من الآية110.

(25) سورة النساء : من الآية 29.

(26) سورة المائدة : من الآية 118.

(27) سورة الأنعام : الآية (13).

(28) سورة الأنعام : الآية 21.

(29) سورة الأعراف : الآية 177.

(30) سورة التوبة، من الآية 82 .

(31) سورة التوبة : من الآية 42.

(32) سورة التكوير: من الآية 7.

(33) شِنْشِنَة : الخُلق والطبيعةُ . ينظر الصحاح في اللغة : 5 / 399.

(34) سورة الأنعام : من الآية (153) .

(35) يُنظر تفسير النكت والعيون، أبو الحسن علي محمد البصري الماوردي، 1059 : 456/1.

(36) يُنظر التفسير الكبير ومفاتح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 179/13.

(37) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر حسن البقاعي :3 / 160.

(38) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، بلا رقم طبعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م: 8/ 163.

(39) ينظر: تفسير الشيخ الشعراوي للقرآن الكريم : 1/ 5419.

(40) سورة النساء، الآية 10.

(41) سورة الكهف: الآية 45.

(42) ينظر: التفسير الوسيط : وهبة مصطفى الزحيلي: 8 / 98.

(43) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964، 413/10.

(44) تفسير القرآن– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي :264/4.

(45) ينظر: تفسير الشيخ الشعراوي للقرآن الكريم : 2170.

(46) سورة الهمزة : الآية 3.

(47) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى الفرَّاء، تحقيق أحمد يوسف التاجاني ومحمد علي النجار، بلا رقم طبعة، دار الشنقيطي، 1955 : 290/3.

(48) ينظر: الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، من دون تحقيق، صُنِّف بمكة، 528ه: 283/4، 284.

(49) ينظر البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2007م:8/ 510.

(50) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي، علي عبدالباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 12/23.

(51) ينظر الجامع لأحكام القرآن :171|20.

(52) يُنظر: التحرير والتنوير: 30/ 536.

(53) سورة البقرة : الآية 187

(54) يُنظر: الكشاف، 340/1..

(55) ينظر: إعراب القرآن، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيَّ الزَّجَّاج، تحرير أبي الحسن سالم إبراهيم الخازمي، بمدينة شيراز – بأرض فارس، 610 ه : 806/1.

(56) الجامع لأحكام القرآن: 337/2.

(57) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزر كشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء، الكتب العربية، ودار المعرفة، بيروت – لبنان، 1957م: 260/2.

(58) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللو يحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420ه – 2000م : 88/1.

(59) ينظر البحر المحيط : 2/ 62، 64.

(60) سورة النساء: الآية 2.

(61) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة شرح ونشر، السيد أحمد صقر، ط2، دار التراث، القاهرة، 1973 م : 571.

(62) إعراب القرآن للزجاج :806/3.

(63) ينظر الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، أحمد بن فارس، المكتبة السلفية، القاهرة، 1910م: 136.

(64) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك : 141/3، والكشاف : 278/1.

(65) المجيد لإعراب القرآن، إبراهيم الصفاقسي : 13/ 81.

(66) ينظر: شرح الشعراوي : 4 /2004.

(67) سورة الأنفال الآية 36.

(68) الكشاف : 2/ 156.

(69) ينظر: التحرير والتنوير: 340/9

(70) الصف: الآية 8.

(71) سورة التوبة : الآية 41

(72) الكشاف : 191/2.

(73) البحر المحيط: 46/5،

(74) البقرة، الآية 286 .

(75) سورة البقرة : الآية 48.

(76) الكشاف :279/1.

(77) البحر المحيط : 1 /348.

(78) تفسير الشعراوي للقرآن الكريم: 172/1.

(79) الانفطار 19.

(80) غافر 17.

(81) سورة آل عمران، الآية 1

(82) ينظر الكشاف : 1 /344.

(83) ينظر الجامع لأحكام القرآن : 4 /263 .ا

(84) التحرير والتنوير : 4/ 158.

(85) سورة : البقرة : الآية 154.

(86) البحر المحيط : 3 / 464

(87) سورة : آل عمران، من الآية(186).

(88) ينظر الجامع لأحكام القرآن : 4/ 274.

(89) البحر المحيط 3 / 487.

(90) ينظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 : 25/4.

(91) سورة الأنفال : من الآية (73).

(92) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى المولى أبو الفداء، من دون رقم طبعة، دار الفكر بيروت، من دون تاريخ : 377/3 .

(93) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط2 دار الفكـــر المعاصر، دمشق، 1418هـــ، 81/10

(94) سورة التوبة : الآية (41).

(90) الجامع لأحكام القرآن : 8 / 267.

(96) ينظر التحرير والتنوير: 10/ 207

(97) البحر المحيط : 5/ 46، 47.

(98) سورة التوبة : الآية (111) .

(99) الشَّرْوَى: النظير. عن ابن سيده، جاء في العين: النظير، وعن السيرافي: هو من الشِّراء؛ لأنَّ الشيء إنَّما يُشْرَى بمثله ينظر المُخصَّص لابن سيده 374/3، (باب المشابهة والمماثلة) .

(100) الكشاف : 216/2.

(101) الجامع لأحكام القرآن :136/8.

(102) نظر البحر المحيط :5 / 102.

(103) سورة الحجرات: الآية 15.

(104) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، م ط، بولاق، الأميرية، القاهرة، 1285هـ: 75/4.

(105) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، 319/13.

(106) سورة الصف: الآيتان (10، 11)

(107) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، 1997: 364/14.

(108) روح البيان: 9 \506 .